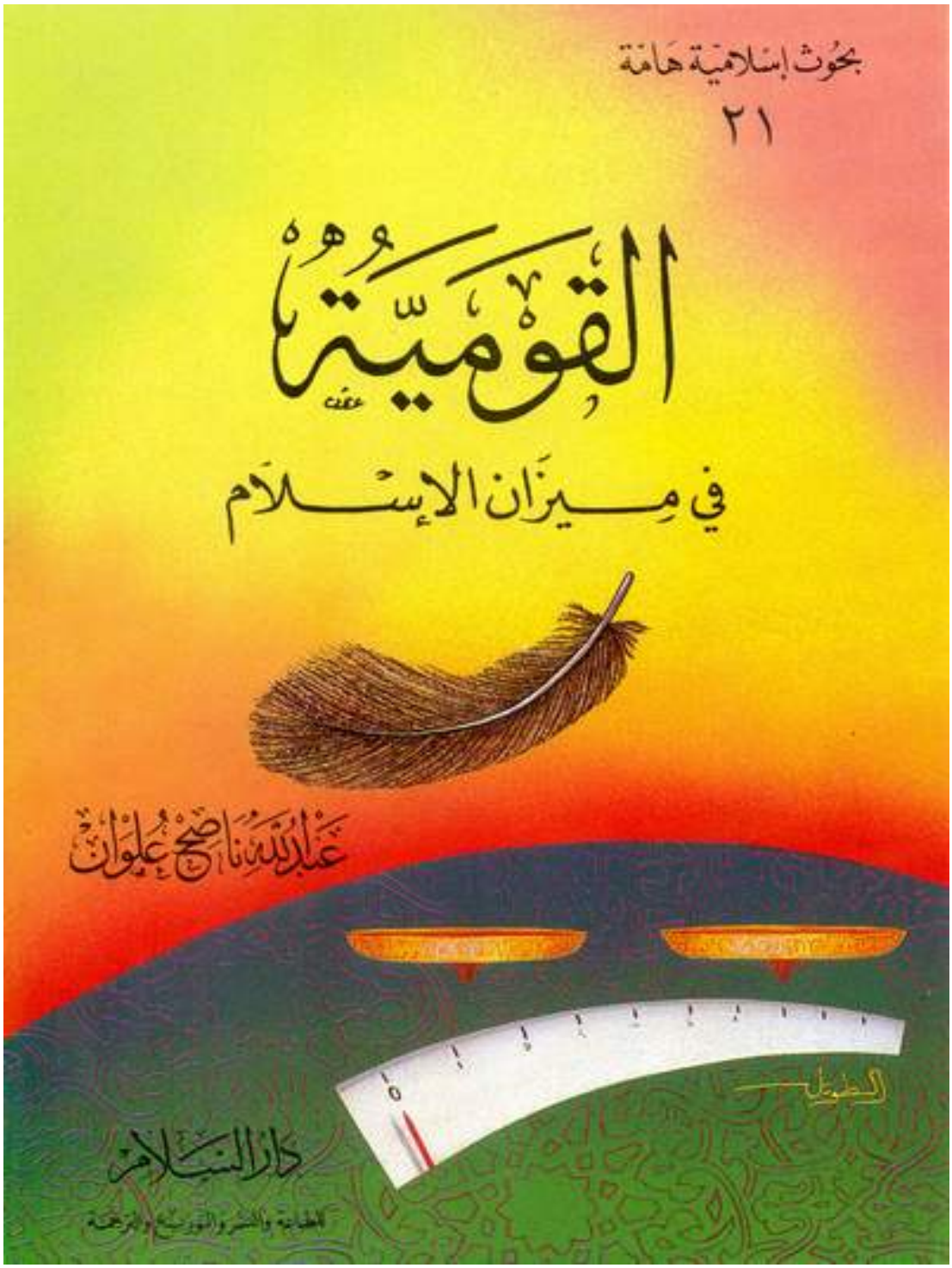
بحوث إسلامية هامة
٢١
القومية
في ميزان الإسلام
عبد الله ناصح علوان
الطويل
دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

(نحن المسلمين لم ندخل التاريخ بأبي لهب ، وأبي بن خلف . . ولكن دخلناه بالرسول العربي محمد بن عبد اللّه صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، وعمر ، وخالد ، وأسامة . .ولم تفتح الفتوح بحرب البسوس ، وداحس ، والغبراء . . ولكن فتحناها ببدر والقادسية ، اليرموك . .ولم نحمل إلى الناس رسال اللآت والعزّى . . ولكن حملنا إليهم رسالى الإسلام ومباديء القرآن . . . .)

فهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
مقدمة وتمهيد.....	٤
١- كيف نشأت القومية في بلاد الإسلام ؟	٥
٢- كيف تمت المؤامرة وما الهدف منها؟	٨
٣- ما هي عناصر القومية وما هو الرد عليها ؟	١٠
٤- هل يتجه العالم اليوم إلى غير فكرة القومية ؟	١٥
٥- فملاذا لا تكون المناداة بالجامعة الإسلامية؟	١٦
٦- ماذا صنعت العقيدة في المسلمين عبر التاريخ ؟	١٨
٧- لماذا يريد القوميون فصل العقيدة عن القومية؟	٢٠
٨- ما هي حقوق غير المسلمين في ظل الإسلام ؟	٢٣
٩- هل القومية تتنافى مع نظام الإسلام ؟	٢٩
١٠- ما هو موقف الإسلام من العرب واللغة العربية ؟	٤٠
١١- وأخيراً همسة في أذن القوميين العقلانيين.....	٤٥
١٢- وفي نهاية المطاف يا شباب.....	٤٨

الإصدار الأول

www.abdullahelwan.net

المقدمة

المقدمة الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى دعاة الحق ، وقادة الخير بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : فكتابي " قصة الهداية " الذي سيخرج بإذن الله قريبًا جدًا إلى قرّاء العربية في كل مكان؛ يشتمل في ثناياه على محاضرات قيمة ، وبحوث هامة . . يجدها القارىء في موضعها المناسب من القصة هنا وهناك . .

فرأيت أن أستخلصها واحدة بعد واحدة ، وأنظر ما فيها ، وأزيد إذا احتاج البحث إلى زيادة ، وأحذف إذا رأيت في الحذف ثمة ضرورة . . حتى إذا انتهيت من تنقيحها وتعديلها . . ضممت المحاضرة أو البحث إلى سلسلة " بحوث إسلامية هامة " عسى أن يستفيد قرّاء السلسلة من هذه المحاضرات والبحوث ، وعسى أن يجدوا فيها الإجابة الشافية على كثير من التساؤلات التي تتصل بنظام الإسلام ، وترتبط بشبهات الأعداء ! !

فمن هذه المحاضرات التي ألقيت في موضعها المناسب من القصة محاضرة " نشأة القومية وموقف الإسلام منها " التي قام بأداء دورها عند ظهور الشخصيات شخصية الأستاذ " فتحي " ، وقد عدَّلت عنوان المحاضرة بعنوان آخر سميته " القومية في ميزان الإسلام " .

وسوف تجد - أخي القارىء - في بحث القومية هذا ، كيف نشأت القومية ؟ وما هي حجج دعاة القومية والردّ عليها ؟ وما هو موقف الإسلام من فكرة القومية ؟ وما هو موقفه أيضًا من العرب واللغة العربية ؟ إلى غير ذلك من التساؤلات التي تراود المتأثرين بالفكر القومي . .

الله أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، وأن يبصّر جيلنا الحاضر حقائق الإسلام ، ومبادىء تشريعه الخالد ، ليحمل الأمانة عن عقيدة واقتناع . . عسى الله أن يحقق على يديه عز الإسلام ، ومجد المسلمين ، وهداية البشرية جمعاء . .

وما ذلك على الله بعزيز ؛ إنه بالإجابة جدير .

المؤلف

مقدمة وتمهيد

من المواضيع الهامة التي لها صلة وثيقة بالغزو الفكري والتضليل اليهودي ، والدعوات العلمانية . .

موضوع " القومية "

فعلى كل مسلم أن يعرف معرفة تامة : كيف نشأت القومية ؟ وما الهدف من نشأتها ؟ وما هي عناصر القومية ثم الرد عليها ؟ ولماذا لا ينادي القوميون بالجامعة الإسلامية ؟

ولماذا يريدون فصل الدين عن الدولة ؟

ثم بالتالي عليه أن يعرف : ما هي حقوق غير المسلمين في ظل العقيدة الإسلامي ة ؟

وهل القومية تتنافى مع نظام الإسلام ؟ وما هو موقف الإسلام من العرب واللغة العربية ؟

وها أنا ذا سأجيب بشيء من التفصيل عن كل سؤال من هذه التساؤلات التي يثيرها دعاة الفكر القومي أو التي يبثها أصحاب الغزو الفكري . . . .

وعلى الله قصد السبيل ومنه نستمد العون :

* * *

١ - كيف نشأت القومية [١] في بلاد الإسلام ؟ :

نسمع عن الكثير من أبناء جلدتنا ، ممن يتكلمون بألسنتنا أنهم مفتونون بفكرة القومية ، لكونها العامل الوحيد - في نظرهم - في جمع العرب على اختلاف أديانهم تحت رايتها ، والإنضواء تحت لوائها !!.

ولكن لو تعمّق أولئك المفتونون بدعوى القومية في حقيقة نشأتها في بلاد الإسلام لما وقفوا مع دعاتها موقف التأييد والتسليم ولَنَابَذوها العداء في أول لحظة تنكشف لهم فيها الحقيقة ، ويماط عنها اللثام !!.

وإليكم حقيقة النشأة بأجلى معانيها :

إن إرهاصات نشأة القومية في عالمنا الإسلامي تبدأ مع بدء التجمع اليهودي الصهيوني ، وسعيه الحثيث في انتزاع بيت المقدس واستلاب فلسطين !!.

فقد كانت الخلافة الإسلامية إذ ذاك تطوّق معظم بلاد الإسلام بطوق متين من الوحدة المتراصّة ، والتآخي الصادق النبيل . . على ما كانت تعانيه الخلافة الإسلامية من ضعف وجمود وتفكك . .

وكان المحور الذي استقطب من حوله هذا التجمع اليهودي الصهيوني هو المحفل الماسوني الذي تأسّس في أواخر الدولة العثمانية باسم " محفل الشرق العثماني " فقد كان هذا المحفل مكوّنًا من كبار الأغنياء والوجهاء ورؤوس اليهود . .

وكانت مدينة " سالونيك " مركزًا رسميًا له ، وهي المدينة التي ترعرعت في أحضانها الجماعة يهود " الدونمة " . .

وبدأت أول محاولات اليهود المباشرة للاستيلاء على فلسطين بدخول الثريّ اليهودي الماسوني الكبير " قره صو " على السلطان عبد الحميد بواسطة مرافقة "عارف بك " فقد قال له إذ ذاك

---

[١] من المراجع التي اعتمدت عليها في هذا البحث رسالة " هكذا نشأت القومية " للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، نشرتها في الخمسينات لجنة مسجد الجامعة السورية بدمشق .

بالحرف الواحد : إنني مندوبًا عن الجمعية الماسوني ة لرجاء جلالتكم بأن تقبلوا خمسة ملايين ليرة ذهبية لخزينتكم الخاصة ، ومائة مليون قرضاً لخزينة الدولة بلا فائدة على أن تسمحوا لنا ببعض الامتيازات في فلسطين " !!. . .

فما هو إلا أن تغيّر وجه السلطان غَيْرَةً وغضبًا ، والتفت إلى مرافقه الذي دخل بواسطته قائلا : " أفما كنت تعلم ماذا يريد هذا الخنزير ؟ " ؛ ثم نظر إلى " قره صو " وصاح في وجهه قائلًا : اخرج عن وجهي يا سافل !!.

فخرج " قره صو " من عنده متربد الوجه قاصدًا إلى إيطاليا ، ومن هناك أرسل إلى السلطان " عبد الحميد " البرقية التالية : " أنت رفضتَ عرضنا ، ولكن هذا الرفض سيكلفك أنت شخصيًّا ، ويكلف مملكتك كثيرًا . . " !!. .

وفي هذه الأثناء قابله زعيم يهودي آخر هو " هرتزل " برفقة الحاخام " موسى ليفي " وراح يرجوه في تزلف أن يبيع أراضي فلسطين بالثمن الذي يريد ، فقال له السلطان " عبد الحميد " رحمه الله بالحرف الواحد : " إن هذه الأراضي قد امتلكها المسلمون بالدماء وهي لا تباع إلا بنفس الثمن " !!.

وهكذا يئست اليهودية وماسونيتها من إمكان إغراء الخلافة الإسلامية ببيع فلسطين ، أو التنازل عنها مهما كان الأجر والثمن . . فراحت تسلك إلى ذلك سبيلًا آخر ، مستعينة بالمكر الإنكليزي للوصول إلى الهدف الخبيث . .

أما المؤامرة التي دُبرت لذلك فهي ما قامت به " جماعة الماسونية " [1] من إشاعة أن السلطان "عبد الحميد " قد اتقف مع العرب على مؤامرة يُراد منها الكيد للشعب التركي ، والقضاء على

---

[1] الماسونية فكرة يهودية قائمة على - حسب الظاهر - على الإخاء الإنساني ، وعلى مبادىء : " الحرية ، والإخاء والمساواة " وعلى فكرة " الدين لله والوطن للجميع " . . أما بالنسبة للباطن فتصارح المنتمي إليها بالمبادىء التالية : " أن غايتنا هي إبادة الدين من الوجود " ، " سوف نتخذ الماسونية غاية من دون الله " ، " يجب خلق جيل لا يستحي من كشف عورته " ، " إن النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة " . . وبالطبع تقصد محاربة كل الأديان ما عدا اليهودية . . وهذه المبادىء الماسونية تستهدف في الدرجة الأولي الوصول إلى فلسطين ،وإقامة الدولة اليهودية وتنفيذ مخططات يهودية من الفرات إلى النيل على يد من ينتمون إلى الماسونية من حكام ووجهاء وأغنياء . .

العنصرية التركية وأن دعوى الجامعة الإسلامية - التي يدعو إليها السلطان - ليست إلا غطاءً دينيًّا يراد منه ستر هذه المؤامرة . .

وأوحت إلى أحد الكتّاب الملاحدة وهو " ضياء كوك آلب " مع ثلة من أتباعه بفكرة إيقاظ القومية التركية الطورانية وفلسفتها ، والدعوة إليها والغلو في تمجيدها . . فاستجابوا لذلك ، وراحوا يبشرون بالعقيدة الجديدة ويملؤون من الحديث عنها أدمغة الشباب والطلاب . . مستعينين على ذلك بترداد ما أشاعته فلول الماسونية عن الجامعة الإسلامية وما يكمن وراءها

وكان من تأثير ذلك أن تألّفت من مجموعة هؤلاء الداعين والمستجيبين " جمعية الاتحاد والترقي " التي ثارت على السلطان "عبد الحميد " ، واستطاعت إزاحته عن الحكم . .

فجمعية الاتحاد والترقي إذن هي جمعية يهودية ماسونية تأسست لفتح أول باب لليهود في الطريق إلى فلسطين ، بل بذلت كل جهدها وإمكانيتها في سبيل تقويض الخلافة الإسلامية ، وفصل الدين عن الدولة ، ومحاربة الإسلام . . واستعانت على ذلك بحمل سلاح القومية التركية الطورانية . .

يعلم ذلك كل مثقف واع لا يكذب على الحقيقة ولا على التاريخ !!. . .

غير أن سلاح القومية التركية لم يكن هو وحده أمل اليهود في القضاء على حصن الخلافة ، وإنما استعملوه ليكون منطلقًا لبث الدعوة إلى قوميات متعارضة متناقضة فوق الأرض الإسلامية . . كي تقوم الثورة والانفجار الذي يزلزل عرش الخلافة ، ويكسر طوقها المتين المحيط من حولها .

هكذا أفهم وزير المستعمرات البريطانية كبار قادة اليهود ، وهكذا خطط لهم . . يعلم هذا أيضًا كل مثقف واعٍ لا يريد أن يكذب على الحقيقة والتاريخ !!.

* * *

٢ -كيف تمت المؤامرة وما الهدف منها ؟ :

سمع العرب باسم القومية التركية تهتف بها حناجر الأتراك الذين كانوا بالأمس لا يعرفون غير الإسلام ، ولا ينهضون بغير الجامعة الإسلامية ، ولا يميّزون رعاياهم في الهويَّات بمعرف غير الإسلام . . فعجبوا ثم تأملوا وفكروا وقدروا . . وإذا بهم يقولون : لكننا نحن العرب !!. . وهل القومية التركية أولى بتمثيل الدولة الإسلامية من القومية العربية ؟ متى كان ذلك ؟

قالوا هذا الكلام بوحي من أثر ردّة الفعل التي طفحت بها نفوسهم ، وانساقوا - وراء العاطفة - وراء الدعاية . . دون أن يسبروا غور الحقيقة ، ودون أن يكشفوا عما وراء الأكمة من بواعث ومؤامرات . .

انساقوا وراء الفتنة المسيرَّة من قبل الماسونية الهودية ينفخون في الرماد . .، ويثيرون في الجو الضباب ، ويبعثون في الناس فلسفة القومية العربية حتى يجعلوا منها دينًا مكان دين ، وعقيدة محل عقيدة . .

والغريب العجيب - لمن لا يعرف مخطط الكيد - أن كلتا القوميتين المتعارضتين المتناقضتين : التركية والعربية اتجهتا في الهجوم على هدف واحد ألا وهو الخلافة الإسلامية المتمثلة في السلطان عبد الحميد !!. . .

فقد كان دعاة القومية التركية الطورانية يتهمون السلطان عبد الحميد بمالأة العرب ، والانحياز لهم ، وشق سبيل السيطرة والنفوذ أمامهم . . على حين يعتقد دعاة القومية العربية أن السلطان عبد الحميد كان مستعمرًا تركيًا ، وكان يبسط سلطان القومية التركية على الأمة العربية باسم الخلافة وباسم الدعوة إلى الجامعة الإسلامية . . وإن كلًّا من الخلافة والجامعة الإسلامية ليستا سوى مسوغ القومية التركية الطورانية على العرب !!. . .

وفي الحقيقة أن كلًّا من دعاة القومية التركية ، والقومية العربية كانا مسخّرين تسخيرًا بارعًا محكمًا من قبل الثلاثي الماكر الخبيث : اليهودية ، والماسونية ، وبريطانيا ، وبتعبير أدق كانا مسخّرين من قبل

اليهودية التي تقوم إذ ذاك بأخطر دور على أوسع نطاق للانقضاض على فلسطين ، ولإقامة دولة إسرائيل !!. . .

وهكذا هبت الأعاصير في وجه الخلافة من كل جانب خدمة لليهودية التي تأبى إلا الاستيلاء على فلسطين لتنفيذ مخططاتها التوسعية من الفرات إلى النيل !!. . .

ومن جرّاء هذه الأعاصير المدمّرة على الخلافة ، انتابت الدولة الإسلامية هزة ثم سرى فيها زلزال ، ثم حل بها الدمار ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إذا لقد تكسر الطوق المتمثل بالخلافة الذي لم يستطع " قرّه صو " ولا " هرتزل " . . أن يفتح في أي جانب منه أي منفذ إلى فلسطين . . ما استطاعوا أن يفتحوا المنفذ إلا بعد كسر الطوق ، والقضاء على الخلافة ، وبعثرة دولة الإسلام . . فجاءت اليهودية بعد هذا التبعثر تدلف إلى فلسطين وتهاجر إليها - بعد الحرب العالمية الثانية - بخطى هادئة ثابتة ، وراحت بريطانية تتسلل إلى مستعمراتها التي كانت تحكُم فيها ، وجاءت فرنسا لتتناول قسمتها من الغنيمة . . وكأن لسان حال هؤلاء جميعًا يقول للمسلمين : اهتفوا الآن بقومياتك م ما طاب لكم الهتاف ما دام طوق الخلافة قد تكسر ، والشمل قد تبعثر ، وفلسطينكم قد ضاعت ، وإسرائيل قد قامت . .

هذا الذي ذكرناه من نشأة القومية ، وخطة التآمر . .

وهدف اليهودية . . حقيقة ثابتة لا ينكرها إلا من عصب عينيه عن رؤية الحق الأبلج المبين ، أو كان جاحدًا للبدهيات المسلم بها !!!.

* * *

٣ -ما هي عناصر القومية وما هو الرد عليها ؟

والآن أريد أن أناقش هؤلاء القوميين مناقشة منطقية هادئة ، عسى أن يتقبلوا الحق على ضوء الحجة الدامغة ، وصوت المنطق المدعوم بالدليل ! ! . . .

دعاة القومية مختلفون فيما بينهم في تحديد العناصر التي تتألف منها القومية ، وفي تقييم الأسس التي ترتكز عليها . .

واختلافهم هو : هل العناصر التي تتكون منها القومية هي : العرْق ، أم اللسان ، أم التاريخ ، أم المصالح المشتركة ، أم الأرض والوطن ، أم هذه الأمور كلها ؟ . .

والآن نأتي على مناقشة كل عنصر من هذه العناصر باختصار :

* **فنظرية العرْق :** تقوم على وجود اجتماع الأمة ذات الأصل الواحد على قومية واحدة ، فالقومية الألمانية مثلًا تقوم على نظرية " العِرْق الآري المختار "

والقومية اليهودية تقوم على نظرية " اليهود في العالم شعب الله المختار " . . . .

وهذه النظرية منقوضة من وجهين :

الأول : أن الأنساب امتزجت ، والدماء اختلطت . . إذ لا نجد في العالم عِرقًا واحدًا سليمًا لم يختلط بغيره من العروق الأخرى ، أو عنصرًا خالصًا لم يختلط بالعناصر الأخرى .

الثاني : أن إثارة هذه النعرات العرقية المزعومة تعمق في الأمة ، والشعوب المختلفة . . روح الحقد ، والأنانية ، والطائفية ، والعصبية ، والعنصرية . .

وهذا أمر مشاهد في عالم الواقع لا ينكره إلا مكابر ! ! . . .

* **وعنصر اللغة** عند هؤلاء أساس للوحدة القومية ، فالأمة التي تتكلم بلغة واحدة تربطها - بنظرهم - وحدة قومية واحدة . .ذات أهداف واحدة . . . .

وهذه النظرية غير صحيحة وغير واقعية ؛ إذ واقع الحال في كثير من الأمم والشعوب يخالف هذه النظرية تمامًا وإليكم بعض الأمثلة :

فبلاد سويسرا يسكنها شعب واحد ، ولكنه يتكلم ثلاث لغات أصليات مختلفات ، وسكان القارة الهندية يتكلمون بأكثر من ثلاثمائة لغة يختلف بعضها عن الآخر اختلافًا جذريًّا بحيث لا يستطيع أحدهم التفاهم مع الآخر . . ، وكذا الحال في الباكستان ، فاللغات الأصلية فيها خمس لغات عدا عن اللغات الفرعية ، وهى أمة واحدة ، وشعبها شعب واحد . . كما يصطدم أصحاب هذه النظرية بواقع الأمم - التي تتكلم اللغة الواحدة وهي مع ذلك مختلفة فيما بينها اختلافًا في كل شيء ، فأمريكا وإنكلترا مثلًا تتكلمان اللغة الإنكليزية الواحدة ، ومع ذلك فهما شعبان مختلفان ، وأمتان متباينتان ، فلم تجمع بينهما اللغة الواحدة تحت شعار القومية المشتركة ! ! . . .

وسؤال أخير لدعاة النظرية : إن اللغة الإنكليزية اليوم أصبحت لغة عالمية ، فهل يا ترى إذا تكلم العالم كله هذه اللغة يصبح أمة واحدة ذات قومية واحدة ؟

الجواب عند دعاة القومية ! ! . . .

ماذا يقولون عن رابطة اللغة في قطر كسوريا مثلًا . . فأي رابطة للغة تجمع هؤلاء الفئات مع تعدد أجناسهم واختلاف ألسنتهم ؟ !

إذ تكلم شعبها بالعربية والكردية والتركية والشركسية والأرمنية ؟

لا شك أنهم لا يستطيعون الإجابة

فدعوى أن اللغة هي العنصر الأساسي للوحدة القومية دعوى باطلة ، لا تصلح أن تقوم على أساسها فكرة القومية الواحدة

* **وعنصر التاريخ :** عند هؤلاء أساس للوحدة القومية ! ! .

والرد على هؤلاء أن التاريخ إنما يصنعه الرجال ، ويسطر صفحاته على مرّ الزمن الأبطال . .

وإنما تصنعه كذلك عوامل مشتركة من عقيدة أو مصلحة أو لغة . .

وهذه العوامل لا تختصّ بأمة دون أخرى . . فقد تشترك أُمّتان لاشتراك مصالحهما فتسجلان في التاريخ صفحات ضخمة من الانتصار والعظمة والمجد والخلود . . ومع ذلك فهما أمتان متباينتان . . فإذا انتهت هذه المصالح فلا جامع بين هاتين الأمتين ، ولا ارتباط بين هذين الشعبين .

ولنضرب على ذلك مثلًا :

في الحرب العالمية الأولى قاتلت ألمانيا دول الحلفاء إلى جانب تركيا ، وفي الحرب العالمية الثانية اشتركت أمريكا وبريطانيا وروسيا في حرب ألمانية النازية ، وعند انتهاء الحرب بدأ الصراع المعادي بين هذه الدول جميعها بعد انتهاء ، مصالحها في عملية الحروب المشتركة . .

علمًا بأنها صنعت العجائب في هذه الحقبة من التقاء المصالح من تاريخ الأمم والشعوب ، وكان عمل هذه الدول موحدًا تاريخيًّا ، وملتقيًا مصلحيًا . . ولكن التاريخ الذي جمع بينهما في مصلحة واحدة لم يكوّن منهما وحدة قومية مشتركة . .

* **وعنصر الأرض :** الذي يجمع الشعب في أرض واحدة هو عامل أساسي للوحدة القومية عند هؤلاء . . ولكن دعاة هذه الرابطة الأرضية يصطدمون بواقع الأرض العربية نفسها فالأرض العربية سكنتها شعوب مختلفة ، وأقوام متباينة في فترات طويلة من التاريخ ، فالآشوريون ، والفينيقيون ، والفراعنة . . سكنوا جميعًا الأرض العربية التي نسكنها نحن اليوم . . ولكننا نحن المسلمين وغير المسلمين لا نشعر أبدًا بأي شعور يربطنا ويشدنا إلى هذه الشعوب ، ولا تتحرك قطرة من دمنا ، ولا تقف شعرة في جسمنا إذا ذكرت هذه الأقوام التي سكنت أرضنا العربية قرونًا عِدّة عبر التاريخ . .

ودعاة هذه الفكرة الأرضية ضاق أفق تفكيرهم فخرجوا علينا بهذه الفكرة الضيقة التي لا تتمشى مع أبسط العقول السليمة ، ومع المنطق المتزن الحكيم . .

فراحوا ينادون بقوميات ضيقة محدودة كارتباط المصريين بالفراعنة ، وارتباط العراقيين بالآشوريين ، وارتباط السوريين بالفينيقيين . .

وذلك ليسلخوا هذه الأمة عن الأرض العربية ، بالإضافة إلى محاولتهم سلخها عن روح الإسلام . .

وفي تقديري ، وتقدير الكثير من ذوي العقول والبصائر أن هؤلاء الداعين لمثل هذه الروابط هم مدسوسون على الأمة العربية بنظر القوميين العرب ، ومدسوسون على الأمة الإسلامية بنظر الإسلاميين . . بل أفكارهم مستوحاة من فكر استعماري ومن مخطط يهودي لجعل هذه الأمة الواحدة أمما مختلفة ، والشعب الواحد شعوبًا متباينة ! ! . . . .

ورحم الله من قال :

وما شكواي أو شكواك إلا لفوضى في المجامع وانقسام
ترى كلًا له أمل وسعيٌ وما لاثنين حولك من وئام
لكلّ جماعة فينا إمام ولكنّ الجميع بلا إمام

* **وعنصر المصالح المشتركة** - في نظر البعض - هو الرابطة التي تكوّن بين أصحاب هذه المصالح الوحدة القومية الواحدة .

وهذه الفكرة غير منطقية وغير واقعية أيضًا ؛ فغير منطقية إذ إن المصالح لا تحديد لها ولا انتهاء . . ولكل بلد مصلحته الذاتية الخاصة ، وقد تختلف اختلافًا كليًا مع مصلحة البلد الآخر . .

وغير واقعية إذ ينقضها الواقع وينسفها من القواعد . . فأمريكا وروسيا مثلًا جمعتهما في يوم من الأيام المصالح المشتركة لمقاومة ألمانيا النازية ، ولما أجهزتا على ألمانيا وانتهت هذه المصالح عادتا دولتين متخاصمتين متناحرتين . .

وكذلك الدول المشتركة في ميثاق الحلف الأطلسي تجمعها الآن مصلحة واحدة وهي مقاومة الدول الشيوعية مع العلم بأن دول هذا الميثاق مختلفة فيما بينها كل الاختلاف ، ومتباينة كل التباين . .

فمن المعلوم أن تركيا وأمريكا اجتمعتا على صعيد واحد في الحلف لمقاومة الشيوعية ؛ فلو أن الشيوعية اندحرت وانتهت لعادت هاتان الدولتان إلى طبيعتهما في الاختلاف والتباين والتناحر . . على المصالح الذاتية الخاصة . .

فبناءً على ما ذكرناه لا يجوز للمصالح المشتركة أن تكون أساسًا للقومية في يوم من الأيام لتباينها وانهيار حجتها وعدم منطقيتها وواقعيتها !!.

تلكم أهم الردود القاطعة ، وأظهر الحجج الدامغة على دعاة القومية في هذا الزمن . .

ولقد رأيتم - إخوتي الشباب - أن هذه العناصر التي احتجوا بها لدعم فكرتهم لا يمكن أن تصلح بحال من الأحوال أساسًا للرابطة القومية ، ولا عنصرًا من عناصرها . . وقد تهاوت - كما رأيتم - واحدة بعد واحدة أمام مطارق الرد والحجة ، ومعاول المنطق والبرهان . .

فبأي حديث بعد هذا يؤمنون ؟

* * *

٤ -هل يتجه العالم اليوم إلى غير فكرة القومية ؟ :

لو استعرضنا الروابط التي تجمع الشعوب اليوم ،وتربط ما بين مصالحها لرأيناها متجسدة في العقائد الفكرية والمذاهب السياسية ، والأحلاف الدولية . .

فالفكرة الشيوعية اليوم لا تقوم على أساس القومية المحدودة الضيقة ، بل تضم أقوامًا من عدة أجناس وألوان من شرقي أوروبا إلى أقصى جنوب آسيا ، جعلوا قبلتهم " موسكو " ، ورائدهم مبادىء "كارل ماركس " و" لينين " وغيرهما من أئمة الفكر الماركسي المادي . . وقد أصبحت الشيوعية عقيدة في نظر أصحابها يؤمنون بها ويدافعون عنها ، ويحاربون من أجلها ويضحون في سبيلها بل هي التي تجمعهم وتوحدهم وتؤلف فيما بينهم . .

وكذلك الحال بالنسبة للفكرة الرأسمالية ، فهي لا تقوم على أساس الفكرة القومية الضيقة لأن تحت شعارها أقوامًا مختلفة ، وشعوبًا متباينة من أوربا وآسيا . .

وكذلك الحال بالنسبة للأحلاف الدولية فهي لا تقوم على أساس الربط القومي لأن المنضوين تحت رايتها من أعراق مختلفة ، وديانات متباينة ، ولغات متعددة . .

فالقومية إذن ماكانت ، ولن تكون يومًا من الأيام أساسًا للوحدة بين الشعوب ، وخصوصًا في عصر القرن العشرين الذي اتسم بأنه عصر العقائد والمذاهب والأحلاف . .

* * *

٥ -فلماذا لا تكون المناداة بالجامعة الإسلامية ؟ :

إذا كان اليهود هم الذين اخترعوا فكرة القومية في العالم الإسلامي للوصول إلى مخططهم الرهيب في القضاء على الخلافة ، وإقامة دولة إسرائيل . .

وإذا كانت العناصر التي قامت عليها القومية قد تهاوت أمام سلطان الحق ، واستقراء الواقع . .

وإذا كانت فكرة القوميات قد تضاءلت تحت لواء العقائد والأفكار ، وشعار التكتلات والأحلاف . .

وإذا كان الانحياز إلى مذاهب اقتصادية ، أو الانخراط في أحلاف سياسية عالمية . . أصبح طابع العصر وشعار القوة . . !!. . .

إذا كان الأمر كذلك فلماذا ينادي دعاة القومية بالقومية ؟ ولماذا ينساق الشباب وراء دعاياتها المنمَّقة ، وشعاراتها الزائفة . . ؟

ولماذا لا ينادي كل مواطن في بلاد الإسلام على اختلاف لغاتهم وتباين أجناسهم . . بفكرة الجامعة الإسلامية التي إن تحققت كان للمسلمين قوة ،وقامت لهم دولة . . تضاهي الدول القوية في عزتها وكبريائها . .

ذلك لأن التكتل الإسلامي إذا تحقق في العالم يبدأ شبه متصل من مراكش إلى تونس إلى الجزائر إلى ليبيا إلى وادي النيل إلى فلسطين إلى سوريا إلى لبنان إلى شرق الأردن والعراق ، إلى نجد والحجاز إلى اليمن إلى إيران إلى تركيا إلى أفغانستان إلى أندونيسيا . . . . وتكون هذه الكتلة الإسلامية المتينة المتراصّة حدًا وسطًا ، بل وحاجزًا كاملًا يفصل بين الكتلتين : الشرقية والغربية على حدٍّ سواء . .

وهذه الكتلة الإسلامية المترامية الأطراف هي في الواقع مختلفة الأجناس ، متباينة اللغات . . . ولكن يجمع بينها رباط العقيدة الإسلامية ، وتوحّد قوانينها مبادىء الشريعة الغراء ، هذه الشريعة تملك من النظم والمبادىء والأحكام ما يجعلها تتصف بالشمول والتجدد ، وتتسم بالربانية والعالمية ، وتحمل في طبيعتها خصائص نموها وامتدادها . . إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . .

وقد شهدت لصلاحية هذه الشريعة ، وخلودها المستمر على مر الزمان والأيام . . والمؤتمرات الدولية ، وشهد لها المنصفون من فلاسفة الغرب ، ويشهد لها من عرف الواقع ، ومن عرف أن هذه النظريات القانونية التي يباهي بها العصر الحديث ، وتفتخر بها الفلسفات التشريعية . . . . قد سبقت بها الشريعة الإسلامية الغراء قبل أربعة عشر قرنًا ، كنظرية المساواة ، ونظرية الحرية ، ونظرية الشورى[1] . .

هذا كله مما لا يترك مجالًا لمنصف في أن يشكّ لحظة بصلاحية هذا الإسلام ، وخلود مبادئه ، وتجدد أنظمته ، وملكة تجدده ، وعظمة تشريعه . . على مدى الزمان والأيام ! ! . . .

* * *

[1] ارجع إلى ما كتبناه في كتبنا : " حتى يعلم الشباب " ، " الإسلام شريعة الزمان والمكان " ، " قصة الهداية " . . تجد فيها بحث " صلاحية الشريعة وحضانصها " وافيا مستفيضًا إن شاء الله .

٦ -ماذا صنعت العقيدة في المسلمين عبر التاريخ ؟ :

إن العقيدة الإسلامية التي تأصلت في نفوس الرعيل الأول من الصحابة والتابعي ن ومن جاء بعدهم بإحسان . . هي التي وحدتهم بعد شتات ، وجمعتهم بعد تفرق . . وهي التي دفعتهم بعزم وإخلاص . . . . لأن يخرجوا من محيطهم الضيق ، وبيئتهم المغلقة . . إلى مجاهل الأرض ، وآفاق الدنيا ، يمدنون الأمم ، ويكرمون الإنسان ، ويفرضون التوحيد ، ويرسون في العالمين قواعد المدنية والحضارة ،وينشرون في الوجود أضواء العلم والمعرفة ، ويسطرون على جبين الزمن مبادىء الحرية والعدالة والمساوا ة . . ويخرجون الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام . .

فيما بين عشية وضحاها - بعد ظهور الإسلام - قامت للمسلمين دولة وسلطان ، وصارت لهم حكومة وقيادة ، وتحققت لهم أمجاد وسيادة . .

ولم ينتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملأ الأعلى حتى انتشر الإسلام في الجزيرة العربية ، ودخل اليمن ، ووصل إلى تهامة ونجد والبحرين . .

وفي عهد الخلفاء الراشدين أخضع المسلمون المملكتين العظمتين : فارس والروم ، وامتدّ ظلهم إلى بلاد الروس شمالًا ، ودخلت في عدلهم بلاد الشام ومصر وبرقة وطرابلس . . وبقية إفريقية وذلك كله في خمس وثلاثين سنة

وفي عهد بني أمية استبحر ملكهم ، وامتدّ سلطانهم إلى أن دخلوا بلاد السند ، ومعظم بلاد الهند ، ووصلوا إلى حدود الصين شرقًا ، ودخلوا بلاد الأندلس غربًا . .

وفي عهد بني العباس استطاع " هارون الرشيد " أن يصور للعالم بسطة المجد الإسلامي الممتدّ شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا . . فلم يجد غير أن يخاطب السحابة التي تمر به ولا تمطره فيقول لها : "**أمطري حيث شئت فإن خراجك سيحمل إلينا** "

فبالعقيدة الإسلامية وحدها أحرز المسلمون هذا النصر المؤزر ، والفتح المبين ، والغلبة الظافرة ، والعزة على طواغيت الفرس ، وجبابرة الروم ، متألهي العالم !!... .

وبالعقيدة وحدها أرجع المسلمون بلاد العرب التي تشمل مصر والعراق والشام . . تحت سلطان القرآن العربي ، واللغة العربية ، وحاكمية الإسلام !!.

وبالعقيدة وحدها دخل في الإسلام أقوام متباينة ، وأجناس مختلفة ، ولغات عِدّة . . وجاهدوا في صفوف المسلمين صادقين مخلصين لإعلاء كلمة ا لله ، وباعوا أنفسهم لله ، وتوجوا رؤوسهم بعزة الإسلام ، واستهانوا بالحياة الزائلة والعمر المحدود . .

وبالعقيدة وحدها وصل " عقبة بن نافع " إلى آخر الغرب ، ووقف على شاطىء المحيط الأطلسي وقال قولته الخالدة : " **اللهم رب محمد لولا هذا البحر لفتحت الدنيا في سبيل إعلاء كلمتك اللهم فاشهد** " .

وبالعقيدة وحدها وصل " قتيبة الباهلي " إلى آخر الشرق ، وأبى إلا أن يدخل بلاد الصين ، فقال له أحد أصحابه محذرًا مشفقًا : " لقد أوغلت في بلاد الترك يا قتيبة ، والحوداث بين أجنحة الدهر تقبل وتدبر . . " . . فأجابه قتيبة والإيمان قد بلغ منه كل مبلغ : " **بثقتي بنصر الله توغلت ، وإذا انقضت المدة لم تنفع العدة** " !!.

فقال هذا المحذر المشفق : " اسلك سبيلك حيث شئت يا قتيبة فهذا عزم لا يفله إلا الله" !!.

وبالعقيدة وحدها ساهم في بناء الحضارة الإسلامية أقوام أسلموا ليسوا من جلدتنا ، ولا يتكلمون بألسنتنا ، وقد خلّفوا آثارًا حضارية خالدة ، مازالت الأجيال الإنسانية في كل زمان ومكان تنهل من معينها ، وترتوي من سلسبيلها !!.

وهذا ما شهد له المنصفون من بناة الحضارة الحديثة في الشرق والغرب . .

* * *

٧ -لماذا يريد القوميون فصل العقيدة عن القومية ؟ :

فإذا كان للعقيدة الإسلامية هذه الخصائص وهاتيك المزايا . . فلماذا يريد دعاة القومية فصل العروبة عن الإسلام ؟ ولماذا يضعون الحواجز والسدود بين القومية وتشريع السماء ؟

في الحقيقة إننا أصبحنا نشك في نيَّات هؤلاء القوميين العرب ، وفي إخلاصهم لوطنهم !

وهذا الشك مبعثه أمران :

الأول : تنكّرهم للإسلام مع ما في هذا الإسلام من معطيات الحضارة والتجدد ، ومقتضيات الشمول والخلود . .

الثاني : تنكّرهم للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية . . لعزلهم غير العرب المسلمين عن صناعة التاريخ والمشاركة الحضارية عبر القرون . .

ومما يؤجج لواعج الشك في النفوس المؤمنة أن نجد أكثر المؤمنين للأحزاب القومية في بلاد الإسلام هم من العناصر غير المسلمة ! ! .

فهل ياترى جاءت هذه الموافقة من قبيل المصادفة ، أم وراء الأكمة ما وراءها ؟

- فزعيم القوميين العرب " جورج حبش " وهو غير مسلم .
- وزعيم القوميين السوريين " أنطوان سعادة " وهو غير مسلم .
- وزعماء قوميون آخرون لهم في البلاد شهرة كبيرة غير مسلمين أيضا .

فالذي تدل عليه الظواهر أن القومية التي ينادي بها هؤلاء متوافقة - إن لم تكن مرتبطة - مع اليهودية ، والماسونية ، والصليبية . . في محاربة الإسلام ، وتحويل الجيل المسلم إلى جيل ملحد متحلل . . لا يؤمن بعقيدة ربانية ، ولا يتطلع إلى مثل أعلى ، ولا يسعى إلى وحدة متراصة تضم شمل المسلمين وتجمع شتاتهم تحت راية الإسلام ! ! .

فالذي أخلص إليه بعد ما تقدم :

أن أولئك الذين يدعون إلى فكرة القومية منسلخة عن العقيدة الإسلامية في بلاد الإسلام ماهم في الحقيقة إلا منفذون من حيث يعلمون أو لا يعلمون لمخططات اليهودية والماسونية والصليبية والاستعمار . . لتحل فكرة القومية محل العقيدة الإسلامية ، وليجعلوا منها دينًا مكان دين وعقيدة محل عقيدة . .

والهدف من وراء ذلك زعزعة العقيدة الإسلامية في النفوس ، وإبعاد التشريع الإسلامي عن واقع الحياة ؛ وفصل الدين عن الدولة ؛ وإثارة النّعرات العِرْقيّة ، والعصبيّة في المجتمعات الإسلامية ؛ وإقامة دولة إسرائيل من الفرات إلى النيل ، وتكوين جيل علماني متحلل ينساق وراء الشكّ والإلحاد ، ويجري وراء الشهوات والإباحية . . وتعميق مبدأ " فرق تسد " في أمة الإسلام . .

وقد استطاعت اليهودية والماسونية والاستعمار . . أن تصل - بواسطة عملائها - إلى بعض ما تهدف إليه من مخططات حاقدة ، ومؤامرات لئيمة فوق أرض الإسلام : أزالت الخلافة ، وأقامت دولة إسرائيل ، وزرعت بين أبناء الأمة الواحدة الضغائن والأحقاد ، وأغرقت المجتمعات الإسلامية بموجات التحلل والإباحية ، وفصلت الدين عن الدولة ، وأبعدت التشريع الإسلامي عن واقع الحياة ، وشككت كثيرًا من شبابنا وشابّاتنا بصلاحية الإسلام ! ! .

وهذا أمر يعرفه القاصي والداني من المسلمين ، ولا ينكره إلا مكابر ! !

ولكن الذي يبشر بالخير - يا شباب - أن أبناء الجيل الإسلامي اليوم بدأوا يدركون أبعاد هذه المؤامرة ، والمخططات . . وأصبحوا يعرفون ماذا يخطط أعداء الإسلام لدينهم وأمتهم ؟ وماذا يرويدن لمقدساتهم وأوطانهم ؟ . .

وها أنا ذا ألمح بعين التفاؤل والأمل طلائع الإسلام تنطلق من أرض الإسلام هنا وهناك ، وفي كل مكان تردّد على مسامع الزمن : " الله غايتنا ، والقرآن دستورنا ، والرسول قدوتنا ، والجهاد سبيلنا ، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا "

وإن شاء الله فلن تمضي سنوات معدودات حتى نرى بأم أعيننا عروش الطواغيت قد تهاوت من عليائها ، وقامت على أنقاضها دولة الإسلام تظلّلها الخلافة الراشدة وترفرف عليها راية لا إله إلا الله محمد رسول الله . . إيذانًا بالنصر الأكبر ، والعزة الإسلامية الشامخة . . وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . .

* * *

٨ -ما هي حقوق غير المسلمين في ظل الإسلام ؟ :

من الحجج الواهية التي يتذرّع بها القوميون قولهم : ماذا نصنع بالمواطنين : اليهود والنصارى إذا حلت في البلاد الإسلامية الشريعة الإسلامية محل الرابطة القومية ؟ . . هل يجبرون على الإسلام ؟ أم يخرجون من الوطن ؟ أم ماذا ! !

نقول : لا يجبرون على الإسلام ، ولا يخرجون من الوطن ، وإنما يعشون تحت ظلال العقيدة الإسلامية معززين مكرمين ضمن حقوق عادلة ، ومبادىء ثابتة . . فرضها نظام الإسلام ، وأوجبتها شريعة الله

وإليكم أهم هذه الحقوق المبادىء :

١- يعيشون في الوطن الإسلامي أحرارًا في ظل عقيدتهم التي يدينون بها ، لا يجوز لأحد من المسلمين أن يكرههم على الإسلام ، ولا أن يضطرهم إلى اعتناقه بالتهديد أو الإغراء . . لقوله تبارك وتعالى : ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة : ٢٥٦)

ومما يؤكد حرية أهل الكتاب الدينية (أن السلطان " سليم الأول " العثماني رأى أن الأروام ، والبلغار ، والأرمن . . قد كثروا في مملكته كثرة مزعجة ، وأقضّوا مضجع الدولة الإسلامية بفتنهم ومؤامراتهم ، فقرّر أن يجبرهم على الإسلام أو يخرجهم من مملكته ؛ فعارض شيخ الإسلام " زنبيلي علي أفندي " معارضة شديدة ، وقال له بلهجة شديدة قاطعة : ليس لك على اليهود والنصارى إلا الجزية ، وليس لك أن تزعجهم عن أوطانهم . . فرجع السلطان سليم عن عزمه امتثالاً لإرادة الشرع)

٢ - يعشون أيضًا أحرارًا في معابدهم وأحوالهم الشخصية . .

جاء في معاهدة عمر رضي الله عنه لأهل فلسطين مايلي : " هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان . . أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم . . ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضارّ أحد منهم "

٣ - يجب المحافظة على أموالهم ودمائهم وأعراضهم . .

جاء في " نصب الراية " عن علي كرم الله وجهه : " وإنما بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ، ودماؤهم كدمائنا " ؛ وجاء في شرح البخاري للعيني : عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من قتل معاهدًا بغير حق لم يُرِح رائحة الجنة ، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا " .

٤ - يجب حمايتهم من كل ظلم أو اعتداء أو اغتصاب . .

وفي رواية البخاري : كان فيما أَوصى به عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند وفاته : " أوصى الخليفة من بعدي بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفي لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، وأن لا يكلفهم فوق طاقتهم " ؛ وروى أبو داودعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من ظلم معاهدًا ، أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ شيئًا بغير طيب نفسٍ منه فأنا حجيجه يوم القيامة" .

٥ - يجب أن يعطوا من الحقوق العامة ما يعطى للمسلمين سواء بسواء . .

وكنموذج لمعرفة حقوق الذميين الناتجة من عَقد الذمة نذكر جانبًا مما جاء في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم لأهل نجران كما جاء في كتابي " فتوح البلدان " و" الخراج " : (ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد صلى الله عليه وسلم على أموالهم وأنفسهم ، وأرضهم ، وملتهم وغائبهم ، وشاهدهم ، عشيرتهم ، وبِيَعِهم (كنائسهم) ، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير . . لا يغير أسقُف من أساقفتهم ، ولا راهب من رهبانهم . . ولا يحشرون ولا يعشرون ، ولا يطأ أرضهم جيش ، ومن سأل منهم حقًا فبينهم النَصف (العدل) غير ظالمين ولا مظلومين . .)

٦ - تؤخذ الجزية المالية بنسبة محدودة من الرجال القادرين على الكسب فقط مقابل حمايتهم .

وكما قرر الفقهاء : (تؤخذ الجزية من الفقير القادر على الكسب ما يساوي (١٢ درهمًا) [1] ، ومن متوسط الحال ما يساوي (٢٤ درهمًا) ، ومن الغني ما يساوي (٤٨ درهمًا) ، يؤخذ هذا كله من كل واحد مرة واحدة في العام . .)

وتسقط الجزية بالعمى ، والزمانة المرضية ، والعجز والشيخوخة ، ولا تضرب الجزية على نساء أهل الكتاب ، ولا على صبيانهم حتى يبلغوا ، ولا على عبيدهم ومجانينهم وأصحاب الصوامع من الرهبان . .

وإذا أردنا أن نوازن بين ما يؤخذ من المسلم من التزامات مالية ؛ وبين ما يؤخذ من أهل الكتاب من جزية فنجد أن المقدار المالي يؤخذ من أهل الكتاب ضئيل جدًا بالنسبة للمسلم ، ذلك لأن المسلم يؤخذ منه فريضة الزكاة على حسب غناه ، ويؤخذ منه ما يسد الحاجة في أيام الكوارث والحوائج ، ويؤخذ منه ما يلزم المجاهدين في أوقات الحروب مع الأعداء . .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الجزية تسقط عن الذمي إذا أسلم ، لما روى الإمام أحمد وأبو داود : "**ليس على من أسلم جزية** " .

ومما يرويه التاريخ بملء الافتخاء والاعتزاز أن عاملًا (واليًا) من عمال عمر بن عبد العزيز كتب إلى عمر : أن الدخول في الإسلام أضر بالجزية ففرضها على من أسلم ؛ فأرسل إليه عمر بن عبد العزيز يقول له : قبح الله رأيك . . **إن الله سبحانه وتعالى لم يرسل محمدًا صلى الله عليه وسلم جابيًا وإنما أرسله هاديًا** . .

فإذا أتاك كتابي هذا فارفع الجزية عمن أسلم من أهل الذمة ! ! . . .

٧ - يجب تحقيق التكافل لعاجزهم وضعيفهم ومريضهم .

---

[1] الدرهم يساوي ثلاثة غرامات من الفضة تقريبًا ، فيؤخذ منهم ما يعادل الغرام على سعر السوق الحاضر ، وبالعملة الحاضرة ، سعر الغرام يساوي اليوم بالعملة السورية - ١٧٥ - ق . . س . .

ذكر " أبو يوسف " في كتابه " الخراج " : أن عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه مر بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب المساجد بسبب الجزية والحاجة والسن ، فقال له عمر : " ما أنصفناك إن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك ، ثم ضيعناك في كبرك " . .ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه ، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه !!. .

وما ذكره " أبو يوسف " في كتاب الخراج : " أن عمر رضي الله عنه مر على قوم مجذومين من النصاري ، فأمر بمعالجتهم ، وفرض لهم ما يكفيهم من بيت المال "

٨ - يأمر الإسلام بمحاسنتهم وملاطفتهم وتحقيق الخير لهم . .

ومما كتبه عمر بن الخطاب رضي عنه إلى عمرو بن العاص عامله على مصر : (إن معك أهل ذمة وعهد ، وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ، وأوصى بالقبط فقال " استوصوا بالقبط خيرًا فإن لهم ذمة ورحمًا ") .

تلكم أهم الحقوق العادلة التي منحها الإسلام لأهل الكتابين اليهود والنصارى ، حينما يريدون أن يعيشوا في كنف الدولة الإسلامية ، يرفلوا في رياض السماحة والعدل . . وفي تقديري وتقدير الكثير من العقلاء والمنصفين أن هذه الحقوق التي قننتها الشريعة الغراء لأهل الذمة والعهد ؛ لا يمكن بحال أن تراها أية أقلية تعيش في كنف دولة قوية لها بين الأمم كيان وبين الدول سلطان !. .

فلنسأل دعاة القومية ماذا يعلمون عن تاريخ الوحدة الإسلامية وتجربتها خلال الأجيال وتتابع القرون ؟

هل سمعوا أن كتابيًا واحدًا من اليهود والنصارى قد أصابه أي حيف أو ظلم في ظلال الحكم الإسلامي والوحدة الإسلامية الشاملة ؟

هل أنبأهم التاريخ أن المسيحيين ضاقوا ذرعًا في ظلال العقيدة الإسلامية ، كما يضيق ذرعًا أرباب القوميات الصغيرة في ظلال القومية العربية ؟

هل يستطيعون أن ينكروا ما سجله التاريخ من شكر النصارى لعدالة الإسلام ، و سماحة المسلمين تحت راية الإسلام لا شعار القومية ؟

وإليكم الشواهد التاريخية :

يقول الأستاذ " أرنولد " في كتابه " الدعوة إلى الإسلام " صفحة : - ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ - : (ولما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن ، وعسكر أبو عبيدة في " فحل " ، كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب المسلمين يقولون : " يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا ، أنتم أوفى لنا ، وأرأف بنا ، وأكف عن ظلمنا ، وأحسن ولاية علينا ، ولكنهم غلبونا على أمرنا ومنازلنا . .)

وغلق أهل حمص أبواب المدنية دون جيش " هرقل " وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الإغريق وتعسفهم . . وإن كانوا على دينهم . . "

- ويقول " غوستاف لوبون " : (ما عرف التاريخ فاتحًا أعدل ولا أرحم من العرب)

- ويقول البطريك " عيشوياية " عام - ٦٥٦ - هـ : (إن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم ، يعاملوننا بعدالة كما تعرفون ، إنهم ليسوا أعداء للنصرانية بل يمتدحون ملتنا ، ويوقرون قديسينا ، ويمدون يد العون إلى كنائسنا وأديرتنا)

من هؤلاء الذين شهدوا هذه الشهادات الصادقة المخلصة . . ؟

إنهم المنصفون من رجال الدين المسيحي والمستشرقين أملى عليهم إنصافهم كما أملت عليهم ضمائرهم أن يقولوا كلمة الحق لله وللتاريخ !!. . .

شهد الأنام بفضله حتى العدا والفضل ما شهدت به الأعداء

- لما غزا التتار بلاد الإسلام ، ووقع كثير من المسلمين والنصارى في أسرهم ، ثم عادت الغلبة للمسلمين ودان ملوكهم بالإسلام ، خاطب شيخ الإسلام أمير التتار بإطلاق الأسرى ؛ فسمح له الأمير التتاري بفك

أسرى المسلمين ، وأبى أن يسمح بفك أهل الذمة ، فقال له شيخ الإسلام : لابد من فك الأسرى من اليهود والنصارى لأنهم أهل ذمتنا ، فأطلقهم له ! !

- وقبل قليل استمعنا إلى ما قاله شيخ الإسلام " زنبيلي علي أفندي " للسلطان سليم الأول حينما حاول أن يكره البلغار والأرمن . . على الإسلام ، وكيف امتثل السلطان إرادة الشرع ؟

- ومما ذكره التاريخ بملء الاعتزاز أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقتص من ابن وإليه عمرو بن العاص لضربه مصريًا قبطيًا بدون حق ، وبعد الاقتصاص التفت عمرو إلى عمرو ، وقال قولته الخالدة " ياعمرمتى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا " . .

- والكثير يعلم موقف علي كرم الله وجهه وهو أمير المؤمنين حين مثل هو ويهودي أمام القضاء في قضية " درع "كان قد افتقدها في أثناء ذهابه إلى صفين ، فحكم القاضي " شريح " بالدرع لليهودي ، لكون الأدلة لم تتوفر لديه أن الدرع درع أمير المؤمنين .

والرواية تقول : إن اليهودي أعلن إسلامه في مجلس القضاء لما رأى العدالة والنزاهة في أجلى صورها وأسمى معانيها ، واعترف ، بأن الدرع ليست درعه وإنما درع أمير المؤمنين ، كان قد التقطها من الأرض عندما تحرك جيش علي رضي الله عنه إلى صفين ! ! .

ألا فليعلم دعاة القومية هذه المواقف المشرفة لخلفاء الإسلام عبر التاريخ ، وليعلموا أيضًا أن الإسلام حين تكون له الهيمنة والحاكمية يجد غير المسلمين في ظلال حكمه ، ومعاملة ولاته كل عطف وإكرام ورعاية ، بل يجدون كل رحمة وعدل وإنصاف ! ؟ ! ! .

وهذا رد قاطع على من يقول : ماذا نصنع باليهود والنصارى إذا قام في المجتمعات الإسلامية حكم الإسلام ، وهيمنت في البلاد العربية الشريعة الإسلامية ؟

وصدق من قال : " ما عرف التاريخ فاتحًا أعدل ولا أرحم من العرب " ! ! . . .

فبأي حديث بعد هذا يؤمنون ؟

* * *

٩ - هل القومية تتنافى مع نظام الإسلام ؟ :

على فرض أن القومية لم تكن فكرة يهودية ، ولا هدفًا استعماريًا . . هل تتعارض مع الإسلام كفكرة ؟ وهل تلتقي مع دعوته كمبدأ ؟

هذا ما أريد الإجابة عليه مفصلًا وعلى الله قصد السبيل :

إن فكرة القومية كمبدأ وعقيدة تتنافى مع مبادىء الإسلام في النقاط التالية :

*** لكونها فكرة مستوردة وافدة لا تمت إلى العقيدة الإسلامية بصلة أوسبب :**

والإسلام لا يسمح للمسلم بحال أن يستقي عقيدته من غير عقيدة الإسلام ، وأن يستمد منهج حياته من غير مناهج القرآن . . لأن في ذلك زعزعة لعقيدته ، وتمييعا لشخصيته ، وقتلا لذاتيته . .

ومما يؤكد هذا النهي :

- ما روى الإمام أحمد عن جابر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : فغضب وقال : " أتهوكون فيها - أي أتتشككون في ملتكم - يا ابن الخطاب ؟ ، والذي نفسي بيده لو أن موسى بن عمران كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني " ! ! .

- وأخرج الفريابي والدارمي وأبو داود وابن جرير . . عن يحيى بن جعدة قال : جاء أناس من المسلمين بكتف (عظم) ، قد كتبوا فيها ما سمعوه من اليهود ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كفى بقوم حمقًا أو ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم ، فنزلت ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (العنكبوت : ٥١)

جاء في " شُعب الإيمان " عن الزهري أن حفصة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب من قصص " يوسف " عليه السلام في كتف (مكتوب في عظم كتف) ، فجعلت تقرؤه عليه ، والنبي صلى الله عليه وسلم يتلون وجهه ، فقال : " والذي نفسي بيده ، لو أتاكم يوسف وأنا بينكم فاتبعتموه وتركتموني ضللتم ، وأنا حظكم من النبيين ، وأنتم حظي من الأمم " .

فهذا الموقف من نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه يؤكد تأكيدًا جازمًا أنه يحرم على المسلم أن يرغب عما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما جاء به غير المسلمين من أصحاب الملل الأخرى ، والعقائد الأخرى . . لأن في ذلك انسياقًا وراء عقائدهم ، وانضواء تحت أفكارهم وشعاراتهم . .

*** لكونها من العصبية ودعوى الجاهلية :**

والإسلام يعتبر كل دعوة إلى رابطة الجنس أو النسب أو العشيرة أو المصاهرة أو الوطنية أو المصالح المشتركة . . . . دعوة جاهلية عمياء ، لقوله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة : ٢٤)

- ففي قوله تعالى : ﴿ **إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم . .** ﴾ إشارة إلى رابطة الجنس والنسب

- وفي قوله : ﴿ **وأزواجكم** ﴾ إشارة إلى رابطة المصاهرة

- وفي قوله : ﴿ **وعشيرتكم** ﴾ إشارة إلى رابطة القومية أو القبلية . .

- وفي قوله : ﴿ **وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها** ﴾ إشارة إلى رابطة المصالح الأقتصادية

- وفي قوله : ﴿ **ومساكن ترضونها** ﴾ **إشارة إلى رابطة الأرض والوطنية . .**

- وفي قوله : ﴿ **أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله** ﴾ **لفتة صريحة إلى رابطة العقيدة الإسلامية . .**

وكأن القرآن الكريم يقول للمسلم : في حال الانسياق الأعمى وراء أي رابطة من روابط الجنس أو النسب أو المصاهرة أو القومية أو المصالح المشتركة أو الأرض أو الوطنية . . وفي حال اعتبار هذه الروابط أو واحدة منها فوق رابطة العقيدة والإسلام . . في حال هذا الانسياق والاعتبار يخرج المسلم

- لاشك - من الإسلام ويتخبط في دياجير الزيغ والضلال فليتربص حتى يأتي الله بعذابه ، والله لا يهدي القوم الفاسقين . .

النبي صلى الله عليه وسلم وصم الأوس والخزرج بالجاهلية ، لما تعصبوا لأقوامهم ، وتنادوا إلى السلاح :

روى ابن جرير في تفسيره : أن يهوديًا رأى الأوس والخزرج يتحدثون مؤتلفين متفقين تحت راية أخوة الإسلام فغاظه ذلك فقال : " لألقين العداوة بينهم " ، فمضى حتى جلس إليهم ، وأخذ يذكرهم بحروب " بعاث " التي وقعت بينهم ، وما قيل فيها من الشعر . . حتى أحمى أنفهم ، وأثار حفيظتهم . . فنادى " الأوس " : ياللأوس !، ونادى الخزرج يا للخزرج !. . ، وحملوا السلاح وكادت أن تقع بينهم فتنة ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج وأصلح بينهم وقال " أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم ا لله إلى الإسلام وأكرمكم به ، وقطع عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بينكم ؛ ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض ؟ " .

فأنزل الله سبحانه هذه الآيات من سورة آل عمران ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا . . ﴾ (آية ١٠٠ : ١٠٣)

فنزلت هذه الآيات تؤكد للمؤمنين في كل زمان ومكان أن الانضواء تحت رايه العصبيات القبلية ، والانسياق وراء الشعارات الجاهلية . . ردة بعد الإيمان وانقسام بعد الوحدة . .

والرسول صلى الله عليه وسلم اعتبر كل دعوة إلى عصبية الجنس ، والاعتزاز بنسب القوم أو العشيرة عودة إلى الجاهلية الأولى في تعصبها وحميتها وضلالها :

- روى أبو داود . . وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بِهَنِ أبيه ولا تكنوا " أي أسمعوه من الكلام القبيح ما يكره .

- وروى أبو داود وابن ماجة أنه عليه الصلاة والسلام لما سئل عن العصبية قال : " أن تعين قومك على الظلم " . .

- وروى أبو داود عنه عليه الصلاة والسلام قوله : " ليس منا من دعا إلى العصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية " .

- وروى مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ، فمات مات ميتة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عمياء يغضب لعصبة ، أو يدعو إلى عصبة ، أو ينصر عصبة . . فقتل قتل قتلة جاهلية ؛ ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ، ولا يتحاشى من مؤمنها ، ولا يفي لذي عهده فليس مني ولست منه " .

فمن هذه الأحاديث يتبين أن كل من دعا إلى رابطة نسبية ، أو آصرة وطنية ، أو عقيدة مذهبية ، أو فكرة قومية . . . . وتعصب لها ، وجعلها أصلًا في الموالاة أو المعادة ، والتناصر أو التخاذل ، والمحبة أو الكره . . . . يكون داعيًا إلى العصبية ، متعزيًا بعزاء الجاهلية ، خارجًا عن سنن الإسلام ! ! .

*** لكونها جاحدة أخوّة الإسلام :**

والإسلام يعتبر رابطة الأخوة الإسلامية فوق رابطة الدم وآصرة العشيرة . . لقوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات : ١٠)

ويجعل ميزان التفاضل الحقيقي بين الأجناس والألوان التقوى والعمل : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

والرسول صلى الله عليه وسلم أعلن قبل أربعة عشر قرنًا حقيقة الرابطة الإيمانية التي تربط النفوس المؤمنة ببعضها وتجعلهم عباد الله إخوانًا .

- روى مسلم في صحيحه عنه عليه الصلاة والسلام " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المؤمن ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه ، التقوى ههنا (وأشار إلى صدره ثلاث مرات) ؛ ألا ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً ولا يحل لامرىء أن يهجر أخاه فوق ثلاث "

- وفي الصحيحين " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه تادعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى " .

- روى أحمد والبيهقي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوادع : " أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى . . ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب " .

ومما يؤكد أن الإسلام جعل رابطة الأخوة الإسلامية فوق الروابط جميعًا تبرؤ القرآن الكريم من أبي لهب العربي الشريف عم الرسول صلى الله عليه وسلم . . تبرأ منه القرآن الكريم لكونه صد عن الحق ، وأعرض عن الهدى ، واتبع سبيل الضلال . . فسيصلى نارًا ذات لهب ويدخل جهنم مع الأشقياء المجرمين . . على حين يعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم سلمان الفارسي رضي الله عنه من أهل البيت الأتقياء الأصفياء . . لكونه استجاب لله والرسول ، واتبع الحق والنور المبين . .

وما أحسن ما قال بعضهم :

عليك بتقوى الله في كل حالة ولا تترك التقوى اتكالاً على النسب

فقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد وضع الشرك الشريف أبا لهب

وكم يكون ظلمًا للإسلام ، وإنكارًا للأخوة ، ومحادة لله والرسول . . أن يقول القوميون إن المسلم الهندي أو الفارسي أو الكردي أو البربري أو الأندنوسي ليسوا من قومنا ، لا يعتبروا من إخواننا لأنهم لا ينتسبون إلى العرب ، ولا ينتمون إليهم ؟ !

والإسلام - كما نوّهنا - جعل المؤمنين أخوة متآخين في الله مهما تباعدت أقطارهم ، وتباينت أجناسهم ، واختلفت لغاتهم . . لأن شعاره الدائم الذي لا يتبدل : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات : ١٣) ومقياسه الثابت الذي لا يتغير ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات : ١٠)

ورحم الله من قال :

ولست أدرى سوى الإسلام لي وطنًا الشام فيه ووادي النيل سيان

وكلما ذكر اسم الله في بلد عددتُ أرجاءه من لب أوطان

ولله در من قال :

دعي القوم ينصر مدعيه ليلحقه بذي الحسب الصميم

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

*** لكونها جاحدة حاكمية الإسلام :**

والإسلام لا يعتبر من ينتمي إليه مسلمًا إلا أن يعتقد اعتقادًا جازمًا بصلاحية الشريعة ، وحاكميتها على مدى الزمان والأيام . . ثم الانقياد لحكمها ، الاستسلام لنظامها في كل وقت وآن . . وهذا ما تؤكده الآيات الكثيرة :

- قال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آية : ٨٥)

- وقال في سورة المائدة : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ . . (آية : ٥٠)

- وقال في سورة الأحزاب : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (أية : ٣٦)

- وقال في سورة النحل : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (آية : ٨٩)

فالقوميون بدعوتهم إلى القومية ينادون بصراحة بالعلمانية ، ومعناها : فصل الدين عن الدولة ، وإبعاد الشريعة الإسلامية عن واقع الحياة ؛ وهذا هو الكفر بعينه ، وهذا هو الضلال المبين ! ! . . .

وأين للقوميين الاحتكام للإسلام ، وأكثر المؤسسين للأحزاب القومية من سلالة " بطرس الأكبر " . . وأحفاد " ريكاردوس قلب الأسد " حمَلة القلوب الحاقدة على الإسلام ونبيّ الإسلام ، وأبطال الإسلام ؟ ! . .

وأين لهم الاحتكام إلى الإسلام ، وقد قال قطب من أقطابهم : " للمسلم العربي دينان : الإسلام والقومية ، وللمسيحي العربي دينان : النصرانية والقومية " ؟

فالقاسم المشترك الذي يجمع المسلم والمسيحي - في نظرهم - هو دين القومية ! !

وأين لهم الاحتكام إلى الإسلام وهم يعتبرون كل دعوة لا تلتقي مع فكرة القومية هي دعوة رجعية أو استعمارية دعاتها عملاء مأجورون للأجنبي ، ولو كانت الدعوة ربانية خالصة لله رب العالمين ؟ ويكفي القوميين كفرًا وضلالًا أن يندرجوا تحت مفهوم هذه الآية الكريمة : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (المائدة : ٤٤)

*** لكونها جاحدة حضارة الإسلام :**

والإسلام يعتبر كل مسلم قد م للحضارة يدًا سواء أكان عربيًا أو أعجميًا ، أبيض أو أسود . . مساهمًا في بناء الحضارة الإسلامية حيثما وجد ، وأينما كان ؟ . . لكونه ينتمي إلى هذا الإسلام العظيم ويتشرّف بالانتساب إليه .

أما دعاة القومية العربية فإنهم يحصرون الحضارة الإسلامية في العرب ؛ فحينما يتكلمون عن الحضارة التي صنعها الأجداد المسلمون عبر التاريخ يحرفون الحقائق بقولهم : إن الأمة العربية أبدعت حضارة من أعظم الحضارات في العالم ، وحينما يتحدثون عن الحضارة التي شاهدها الأسلاف المؤمنون في بلاد العرب يزورون التاريخ بقولهم إن أبناء يعرب هم الذين خلقوا الحضارة وأوجدوها في عالم الواقع ودنيا الناس . .

ما هذا التزوير ؟ وما هذا التخريف ؟ هل المفاخر والمآثر مقصورة على العرب وحدهم دون غيرهم من الأجناس ، والألوان ، والشعوب ؟ . .

ونحن لو قلبنا صفحات التاريخ فماذا نجد ؟

نجد أن الموالي من غير العرب قد تولوا أخطر المناصب العلمية ، والدينية ، والسياسية ، الاجتماعية . . في الدولة الإسلامية ، ولم يحزّ ذلك في نفوس العرب المسلمين ، ولم يشعروا بأي غضاضة أو انتقاص . . فالكفاية الإيمانية ، والعلمية والسياسية ، والإدارية . . هي الميزان في تقييم المسلم وتقديمه لتولي المناصب في الدولة . .

وما دام المولى قد استكمل أسباب الولاية ، وصفات الإمارة ، وخصائص تحمل المسؤولية . .

فهو الذي يستحقها ، ويقدم على غيره فيها وإن كان غير عربي وغير قرشيّ . .

فالعربي والمولى أخوان بأخوة الإسلام ، وتتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ، وليس لأحدهم فضل على الآخر إلا بالتقوى ! ! .

والرسول صلوات الله وسلامه عليه أعطى لأصحابه والأجيال في كل زمان . . القدوة العملية في مؤاخاة العرب وغير العرب تحت ظلال العقيدة والإسلام ، ذلك بمؤاخاته بين المهاجرين والأنصار حين وطئت قدماه الشريفتان أرض المدينة المنورة . .

وكان ممن آخى بينهم بعض الموالي والضعفاء فآخى بينهم وبين كبار الصحابة ممن عرفوا بأصالة النسب ، وعلو المنزلة :

- إذ آخى بين بلال بن رباح الحبشي وخالد بن رويحة الخثعمي .
- وآخى بين مولاه زيد بن حارثة وعمه حمزة بن عبد المطلب القرشي .
- وآخى بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء .
- وآخى بين خارجة بن زيد وأبي بكر الصديق .
- وآخى بين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان . .

وأعطى عليه الصلاة والسلام القدوة العملية في تسليم المناصب للأكفاء ولو كانوا غير عرب . .

فهو الذي عين " بلالاً " رضي الله عنه واليًا على المدنية ، وفيها من وجوه القوم ممن لا ينكر أحد فضلهم ومآثرهم ؛ وهو الذي سلم " أسامة بن زيد " ابن مولاه قيادة جيش كبير فيهم أبو بكر وعمر . . ؛ وهو الذي قال لأبي ذر رضي الله عنه حين جاء يطلب الإمارة : " يا أبا ذر : إنك رجل ضعيف ، وإنها لأمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة . . . . إلا من أخدها بحقها ، وأدى الذي عليه فيها " .

وأعطى صلى الله عليه وسلم القدوة العملية في تحقيق مبدأ المساواة بين الجميع دون أن يكون بين العربي وغير العربي أي تفريق أو تمييز ، فهو الذي قال لأبي ذر حين عيَّر بلالاً بسواده " أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية " .

وهو الذي رد شفاعة أسامة بن زيد حين جاء يشفع للمرأة المخزومية القرشية التي سرقت ، وهو الذي قال : " والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " .

فمن هذه المواقف التي وقفها رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبين أنه كان يسعى في أن يتفاعل المسلمون على اختلاف أجناسهم وألوانهم وشعوبهم . .في بناء دولة الإسلام ، وحضارة الإسلام ، وعزة الإسلام . . دون أن يكون بين المسلمين استعلاء جنس على جنس أو تطاول لون على لون ، أو تفاضل أمة على أمة ! ! .

فانطلاقًا من هذه المبادىء الإسلامية ، والمواقف النبوية انصرف كثير من الموالي غير العرب إلى العلم والفقه فبرعوا فيهما حتى أصبحوا فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار بلا منازع ، بل تولوا أعلى المناصب العلمية الدينية والسياسية . .في الدولة الإسلامية .

وإليكم هذه المحاورة التي تؤيد مانقول :

قال ابن أبي ليلى : قال لي " عيسى بن موسى " - وكان شديد العصبية للعرب - : من كان فقيه البصرة ؟

قلت : الحسن البصري بن أبي الحسن ، قال : ثم من ؟

قلت : محمد بن سيرين ، قال : فما هما ؟ قلت : مولیان ! ! .

قال : فمن فقيه اليمن ؟

قلت : عطاء بن أبي رباح ، ومجاهد ، وسعيد بن الجبير ، وسليمان بن يسار .

قال : فما هؤلاء ؟

قلت : موالي ! ! .

فمن فقهاء المدينة ؟ ، قلت زيد بن أسلم ، ومحمد بن المنكدر ، ونافع بن نجيح . .قال : فما هؤلاء ؟ ، قلت : موالي ! ! .

فتغير وجهه ثم قال : فمن أفقه أهل قباء ؟ ، قلت : ربيعة الرأي ، وابن أبي الزناد . . قال : فما كانا ؟ ، قلت : من الموالي ! ! .

فاربد وجهه (أي تغير) ثم قال : فمن فقيه مكة ؟

قلت : طاوس ، وابنه منبه ، قال فمن هؤلاء ؟

قلت : من الموالي ! ! .

فانتفخت أوداجه وانتصب قاعدًا وقال : فمن فقيه خراسان ؟

قلت : عطاء بن عبد الله الخراساني .

قال : فمن عطاء هذا ؟

قلت : مولى ! ! .

فازداد وجهه تربدًا ، واسوداداً حتى خفته ، ثم قال : فمن فقيه الشام ؟

قلت : مكحول ، قال : فمن مكحول هذا ؟

قلت : مولي ! ! .

قال فمن كان فقيه الكوفة ؟ . ولولا أني خفته لقلت : الحكم بن عتبة ، وعمار بن أبي سلمان ، ولكن رأيت في نفسه الشر ، فقلت : إبراهيم النخعي والشعبي .

قال : فما كانا ؟ قلت عربيان .

فقال : الله أكبر ، وسكن جأشه .

فمن هذا الحوار يتبين أن الموالي من غير العرب كانوا من أشهر الرجال في النبوغ العلمي ، والتفوق الحضاري يتبوؤن أسمى المراتب ، وينالون أعلى المناصب . . كأمثال أبي حنيفة النعمان ، وسيبويه ، والبيروني ، والخوارزمي . . والرازي ، وابن سينا . . وكثير غيرهم ممن حملوا إلى العالم ألوية الفقه ، الطب والرياضيات ، والفلسفة ، والفلك ، والتاريخ . . وسائر العلوم !

ولا يستطيع أحد أن يتجاهل ما تدين به الحضارة الإسلامية للعصر السلجوقي . .

ولا يستطيع أحد أن ينكر ما قدمته نهضة التيموريين في أواسط آسيا للحضارة الإسلامية .

ولا يستطيع أحد أن يتغاضى عن الدور الهائل الذي لعبه الأتراك العثمانيون في انبعاث الحضارة الإسلامية وازدهارها . .

فإذا ذكرنا أن هؤلاء جميعًا ليسوا بعرب ، عرفنا جيدًا أن كل من آمن بهذا الإسلام عقيدة وعبادة وتشريعًا ساهم في بناء الحضارة الإسلامية عبر التاريخ . . وشارك في إقامة مجد المسلمين خلال العصور . . سواء أكان عربيًا أو أعجميًا ، أبيض كان أو أسود . .فالقوميون الذين يريدون أن يحصروا الحضارة بالعرب وحدهم ، هم في الحقيقة جاحدون لفضل غير العرب الذين ساهموا في إقامة مجد الإسلام حضاريًا وسياسيًا . . وفي الوقت نفسه هم مفترون على الحقيقة ، وكاذبون على التاريخ !!. . .

فبأي حديث بعد هذا يؤمنون ؟

* * *

١٠ - ما هو موقف الإسلام من العرب واللغة العربية :

في الحقيقة أن الإسلام بمبادئه السمحة لم يقف من العرب واللغة العربية موقف المجافاة ، بل يعتبر حبهما من الإيمان ، والسبيل إلى عزة الإسلام . .

ولنستمع إلى النصوص قرآنًا وحديثًا في فضل العرب ، وفضل اللغة العربية على حد سواء :

في التنزيل :

يقول سبحانه في سورة فصلت {كتابٌ فصلت آياته قرآنًا عربيًا لقوم يعلمون }(آية : ٢)

- ويقول في سورة الزخرف { وإنه لذكر لك ولقومك } (آية : ٤٤)

- ويقول في سورة التوبة { لقد جاءكم رسول من أنفسكم . . . . } (آية : ١٢٨)

- ويقول في سورة الجمعة : { هو الذي بعث في الأميين رسولًا منهم . .} (آية : ٢)

ففي قوله سبحانه { . . قرآنًا عربيًا } إظهار لفضل اللغة العربية على سائر اللغات

وفي قوله { . . لذكر لك ولقومك } ، { وجاءكم رسول من أنفسكم . . } . . { بعث في الأميين رسولًا منهم }

إظهار لشرف العرب الذين بعث الرسول منهم ، ونزل القرآن الكريم بلغتهم ، وبزغ النور الرباني من جزيرتهم . .

*** وفي فضل اللغة العربية يقول عليه الصلاة والسلام :**

كما روى الحافظ بن عساكر عن مالك :

- " يا أيها الناس : إن الربّ واحد ، وإن الأب واحد ، وإن الدين واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هي اللسان فمن تكلم فهو عربي " .

- وروى بن كثير عن معاذ بن جبل رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ألا إن العربية اللسان ، وألا إن العربية اللسان " .

بذلك نعلم - كما قال الإمام البنا رحمه الله - إن هذه الشعوب الممتدة من خليج فارس إلى طنجة ومراكش على المحيط الأطلسي كلها عربية تجمعها العقيدة ويوحد بينها اللسان ، وبذلك نعلم أيضًا أن غير العرب تحقق بشرف العربية التي هي لغة القرآن الكريم . .

ألا فليفهم دعاة القومية العربية هذه الحقائق ، ليعلموا أن الإسلام يسعى جهده لكي يمتد سلطان اللغة العربية في أرجاء العالم باعتبار أنها لغة القرآن ، وشعار الإسلام ! ! .

*** وفي فضل العرب يقول صلى الله عليه وسلم :**

كما روى أحمد ومسلم والترمذي : " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشًا من كنانة واصطفي من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم" .

وكما روى محمد بن إسحاق الصنعاني من طرق متعددة : " أن الله خلق السموات سبعًا ، فاختار العليا منها ، وأسكنها من شاء من خلقه ، ثم خلق الخلق فاختار من الخلق آدم ، واختار من بني آدم العرب ، واختار من العرب مضر ، اختار من مضر قريشًا ، واختار من قريش بني هاشم ، واختارني من بني هاشم ، فأنا خيار من خيار من خيار ، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم " [1] .

- وروى الترمذي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه : " يا سلمان : لا تبغضني فتفارق دينك . . قلت : يا رسول الله كيف أبغضك وبك هداني الله ؟ قال : تبغض العرب فتبغضني " .

- وروى أبو طاهر السلفي ، وابن تيمية في " اقتضاء الصراط المستقيم " : " حب أبي بكر وعمر من الإيمان ، وبغضهما من الكفر ؛ وحب العرب من الإيمان وبغضهم من الكفر " .

وفي تقديري أن هذه الأفضلية التي خص الرسول صلى الله عليه وسلم بها العرب تكليفية ، بل تحملٌ لمسؤولية الإسلام وتبليغه إلى الدنيا . .

---

[1] ذكره ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم

لما كانوا يمتازون به من فصاحة نادرة ، ورجولة كاملة ، وشجاعة فائقة وعزيمة راسخة ، وتحمّل للشدائد عظيم . . حتى إذا آمنوا بهذا الإسلام الذي ارتضاه الله لهم ، واعتنقوا الدعوة الإسلامية التي بزغ نورها من أرضهم ، وفهموا الشريعة التي تنزلت بلغتهم . . كانوا أقدر من غيرهم على حمل التبعة ، وبذل التضحية ومواصلة الجهاد ، وإقامة الحجة ، وتوضيح مبادىء الإسلام وتذليل العقبات التي تعترض طريق الدعوة . . ومن هنا عرف السر أن الله جلت حكمته اختار لدعوته أرض الحجاز والشام . . في أوسط بقاع الأرض لتكون هذه البلاد وسطًا بين شرق وغرب ، فتقدم لهذا وذاك ما عندهم من خير ، وتصلح ما تراه من فساد ، وتقوم خرافات الماضي وجاهلية الحاضر ، وتسير بها قدمًا نحو ميادين العلم والمعرفة وآفاق التحرّر والنهوض . . وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ . . (البقرة : ١٤٣)

ولا تقتضي هذه الافضلية للعرب التي أفصح الرسول صلى الله عليه وسلم عنها ، وأشار القرآن الكريم إليها أن يفخر بها العرب على غيرهم من المسلمين ، وأن يأخذهم العجب والغرور بانتسابهم إليها . . وإلا . . فإنها ستنقلب إلى عصبية منتنة ، وجاهلية حمقاء ، وسبق أن ذكرنا حديث : " **إن الله أذهب عنكم عيبة الجاهلية ، - أي نخوتها - وفخرها بالآباء** " .

والإسلام بمبادئه السمحة الحكيمة لا يمانع من أن يعمل المسلم لبلده ، وأن يتعاطف ويتعاون مع قومه وعشيرته ، وأن يقدم أكبر ما يستطيع من الخير والنفع للأمة التي يعيش بينها ، للناس الذين يلتقي معهم . . وأن يقدم الأقرب فالأقرب في تعاطفه وتعاونه وبره . . حتى إن الشريعة الإسلامية لم تجز نقل الزكاة إلى أبعد من مسافة القصر إلا لضرورة . . وما ذاك إلا مراعاة للجوار ، وتكافل للأقربين ، وتفضيل أبناء الوطن الواحد على غيرهم إذا كانوا فقراء ومحاويج ! ! .

وكذلك الأرض التي يقطن عليها المسلم ، فهي بالاعتبار أرضه ، فيجب أن يحافظ عليها ، ويدافع عنها كما يدافع عن ماله وأرضه وأهله ! ! .

وكذلك الوطن الذي يعيش في كنفه المؤمن ، فهو بالاعتبار وطنه ، يجب أن يبذل في سبيل الحفاظ عليه آخر قطرة من دمه ، آخر قرش من ماله . . لكونه جزءًا من الوطن الإسلامي الكبير الذي يضم في ربوعه إخوة الإسلام ، وأقوامًا في العقيدة . . مهما اختلفت لغاتهم ، وتباينت أجناسهم ، وتباعدت أقطارهم . .

ورحم الله من قال :

ولست أدري سوي الإسلام لي وطنًا الشام فيه ووادي النيل سيان

وكلما ذكر اسم الله في بلد عددتُ أرجاءه من لبّ أوطاني

والحنين إلى الوطن ظاهرة فطرية في الإنسان فلا يمنع الإسلام من أن يحن المسلم إلى أصله ومسقط رأسه ، وملعب صباه . . فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر من مكة إلى المدنية ، لم يمنع حبه للمدينة أن يحن إلى مكة بلده الحبيب ، وأن يقول لأصيل وقد أخذ يصفها : " يا أصيل : دع القلوب تقر " ، وهو القائل لمكة في اللحظة التي هاجر فيها : " إني أعلم أنك أحب البلاد إلى الله ، ولولا أن قومي أخرجوني ما خرجت " .

وهذا بلال رضي الله عنه تأجج قلبه شوقًا إلى بلدته الحبيبة واعتلجت نفسه حنينًا إليها . . فجعل يهتف من قرارة وجدانه بهذه الأبيات :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادٍ وحولي أذخر وجليل

وهل أرِدَنْ يومًا مياه مجنةٍ وهل يبدون لي شامة وطفيل

ومنه قول الشاعر :

نقل فؤداك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدًا لأول منزل

ويقول آخر :

بلادي وإن جارت علي عزيزة وأهلي وإن ضنوا علي كرام

والذي أخلص إليه بعد ما تقدم :

أن الإسلام لم يقف من اللغة العربية والعرب موقف الكراهية والمجافاة ، وإنما جعل حبهما من الإيمان ، ودفع أهلهما ليحملوا إلى العالم رسالة الإسلام . .

كما أنه لا يمانع أن يعمل المسلم لوطنه ، وأن يتعاطف مع قومه وعشيرته . . في سبيل تحقيق مجتمع أفضل ، وعيش أكرم . .

كما اعتبر الأرض التي يقطن عليها المسلم هي أرضه والوطن الذي يعيش في كنفه هو وطنه فيجب أن يحافظ عليه كما يحافظ على نفسه وماله وعرضه . .

وأخيرًا لا يمانع الإسلام المسلم من أن يحن إلى مسقط رأسه ، وملعب صباه . .

اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام واستجابة لفطرة حب الوطن المتأصلة في كيان الإنسان ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ . . (آية : ٣٠)

* * *

١١ - وأخيرًا همسة في أذن القوميين العقلانيين :

بعد أن تراءت الحقيقة الناصعة بأجلى معانيها أهمس في أذن القوميين المتفهمي ن للحقيقة هذه الكلمة :

* المناداة بفكرة الجامعة الإسلامية ماذا تعني ؟

- أليست تعني أن اللغة العربية تفرض سلطانها على كل بلد يدين أهلها بالإسلام ، لأن غير العربي يعتبر اللغة العربية لغته ، اعتقادًا منه أن القرآن العربي كتابه ؟

- أليست تعني أن المسلمين برابطة العقيدة ، وقوة الشكيمة ، وكثرة العدد يكونون وحدة كبرى تتحدى الأمم وتقف في وجه الدول ؟

- أليست تعني أن المسلمين في الشرق والغرب تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ؟

أليست تعني أن المسلمين تتوحد مناهج حكمهم ونظم حياتهم ، ومصدر قوانينهم . . لكونهم يستمدون ذلك كله من شريعة خالدة ، ودين واحد ؟

- أليست تعني أن المسلمين اليوم يكونون في العالم كتلة إسلامية متراصة تتحدى الشرق بقوته ، والغرب بجبروته ؟

- أليست تعني أن المسلمين بتآلفهم الأكبر سوف يستعيدون تحت الشمس مجدهم الغابر ، ووحدتهم الشاملة ، وعزتهم السامقة ؟

فإذا كانت الجامعة الإسلامية تعني كل هذا فلماذا يقف القوميون منها موقف المعاداة والمحاربة ؟ ولماذا يتهمون دعاتها بالرجعية والشعوبية ؟ ولماذا يصرون بالمناداة على دعوة محدودة ؟ ولماذا يطرحون شعار القومية العربية ؟

*** ثم ليستقرىء القوميون التاريخ :**

هل تجمع ما تجمع للعرب من مجد وممالك وعزة ورفعة . . إلا في ظل تلك الوحدة الإسلامية ، وخلافتها الراشدة ؟

هل ضاع ما ضاع من البلاد ، وتشتت ما تشتت من الأمم ، وتمزق ما تمزق من الوحدة . . إلا بعد انحسار تلك القيادة الإسلامية المؤمنة عن أرض العرب والإسلام ؟

هل عرفوا أن أهل الكتابين : اليهود والنصارى كانوا يرون من الحقوق العادلة ، والمعاملة الطيبة . . في ظل الوحدة الإسلامية مما دفع عقلاؤهم ومؤرخيهم ورجال الدين فيهم . . أن يشهدوا صادقين بسماحة الإسلام ، ورحمة المسلمين ؟

نعم لقد دلَّت التجربة ، وأثبت التاريخ . . أن العرب كلما ازدادوا ارتباطًا بالإسلام ، وانضوا تحت وحدته وجامعته كانت قوتهم أمام أعدائهم أكبر ، ووحدتهم وتماسكهم فيما بينهم أمتن وأعظم . . وبالتالي كان تقديس الأعاجم للعرب وللغة العربية أظهر وأبلغ . . ؛ وكلما تنكروا لهذا الدين ، وحادوا عن منهج الإسلام الحق واستبدلوا بشعارات الوحدة الإسلامية وجامعتها شعارات قومية ودعوات محدودة . . تنكر لهم الأعاجم المسلمون ، ولووا رؤوسهم متعززين عن جميع شعارات القومية والعروبة وفلسفاتها ! ! . بل سينطلقون حتمًا على أثر ردود الفعل هذه لينادوا بقوميات عنصرية ، ودعوات جاهلية ما أنزل الله بها من سلطان ! ! .

إذن لا يحل المشكلة إلا الأخذ بتجربة التاريخ ألا وهي المناداة بفكرة الوحدة الإسلامية التي تجمع تحت لوائها عناصر مختلفة ، وأجناسًا متباينة . .

وهذا هو واقع التاريخ ، وهذه هي التجربة بأجلى صورها ومعانيها . .

وفي الختام نقول للقوميين هذه الكلمة :

(نحن المسلمين لم ندخل التاريخ بأبي لهب ، وأبي بن خلف . . ولكن دخلناه بالرسول العربي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، وعمر ، وخالد ، وأسامة . .

ولم تفتح الفتوح بحرب البسوس ، وداحس ، والغبراء . . ولكن فتحناها ببدر ، والقادسية ، اليرموك . .

ولم نحمل إلى الناس رسالة اللآت والعزّى . . . .ولكن حملنا إليهم رسالة الإسلام ومبادىء القرآن . . . .) [1]

ولم نحكم الدنيا بشعارات جاهلية ، ودعوات قومية . . وإنما حكمناها بالمنهج الرباني ، والشريعة العالمية الخالدة . . . . فبأي حديث بعده يؤمنون ؟

* * *

[1] من خطبة الأستاذ الداعية " عصام العطار "

١٢ -وفي نهاية المطاف يا شباب :

- حَذار من الانسياق وراء شعارات جاهلية ما أنزل ا لله بها من سلطان . .

- وحذار من الاستجابة إلى دعوات قومية نبذها الإسلام . .

- وحذار من الانضواء تحت رايات عمية نكستها شريعة الرحمن . .

- وحذار من الانخداع بمبادىء وأنظمة ودعوات هي من صنع اليهودية والماسونية والاستعمار . .

- وحذار من الانحراف عن منهج الإسلام الحق ، وعن دين الله الخالد . .

واعلموا يا شباب :

أننا إذا جردنا الدعوة إلى العروبة من النظم الربانية والتعاليم الإسلامية ، يصح أن نقول عنها : إنها من مخلفات أبي جهل وأمثاله من كفرة قريش ، وأشقياء الجاهلية ! ! . .

اسمعوا ما يقوله الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه - فيما رواه الحاكم - :

" **إننا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام ، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله** " .

نعم - يا شباب - حينما اعتز أجدادكم البواسل الأمجاد بهذا الإسلام العظيم ، وطبقوه على أنفسهم منهاجًا وأحكامًا . . تبدلت أوضاعهم ، وتغيرت أحوالهم . . وصاروا بفضل الله وتوفيقه قوة ووحدة ، يحقّون الحق ، ويقيمون العدل ، ويدفعون الظلم ، ويكرمون الإنسان ، ويفرضون المعرفة ويملؤون الدنيا عدلًا وخيرًا ، وينبتون الأرض عسلًا ولبنًا . .

ثم كان ما هو أهم من ذلك وأخطر ؛ إنهم في ظل الأخوة الإيمانية ، والوحدة الإسلامية ؛ وفي ظل شريعة الله الربانية ، والمبادىء القرآنية . . استطاعوا أن يتحرروا من النفوذ الذاتي والتناحر القبلي ؛ وأن يتخلصوا من جاهليتهم الحمقاء ، وعقيدتهم الجاهلية . . وأن ينعموا أفرادًا وجماعات بالحياة الحرة الكريمة . . وفي زمن يسير استطاعوا أيضا أن يقيموا في العالمين دولة إسلامية كبرى مترامية الأطراف ؛ امتدت إلىفرنسا غربًا وإلى الصين شرقًا . .

تلك التي أضاءت جنبات العالم الإنساني بأسره بنور الحضارة ، وإشراقة الإيمان وشمس الإسلام . . وما زالت الأمم المتحضرة اليوم ترشف من معين هذه الحضارة ، وتستضيء بنور هذا الإسلام العظيم ! ! .

أعلنوها ياشباب صريحة مدوية :

أن أمة الإسلام اليوم لا تصلح إلا بما صلح به أولها ؛ فإذا كان صلاح أولها بالإسلام منهاجًا وأحكامًا ، وبالدعاة دعوة وتبليغًا ،وبالمسلمين تضحية وجهادًا . .

فكذلك صلاحها اليوم لا يتحقق إلا بمنهاج الإسلام وأحكامه ، ودعوة الدعاة وتبليغهم ، وتضحية المسلمين وجهادهم . .

فكونوا أنتم - يا شباب - الدعاة إلي الله الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحد إلا الله . .

وكونوا الطليعة الرائدة في التضحية والجهاد ، والاستبسال والفداء . . ليتحقق لهذا الدين انتصاره ، ولهذا الإسلام انتشاره ، وللشعوب المسلمة وحدتها الكبرى .

أسمعوا الدنيا شعارات دعوتكم ، ومنهاج عملكم وجهادكم :

" الله غايتنا ، والرسول قدوتنا ، والقرآن دستورنا ، والجهاد سبيلنا ، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا " . . . .

وليكن نداؤكم دائمًا :

في سبيل الله قمنا نبتغي رفع اللواء

فليعد للدين مجده أو ترق منا الدماء

فيا شباب :

تطلعوا إلى السماء ، سيروا مع موكب سيد الأنبياء . . شيدوا بسواعدكم الفتية صرح الإسلام العتيد . . . أعيدوا بعزائمكم المتينة مجد الجدود العريض . .

- برهنوا لدعاة القومية كيف يكون العز بالإسلام ؟

- وكيف يكون النهوض والتقدم بالقرآن ؟

- وكيف تتكون الوحدة الشاملة في ظل العقيدة الإيمان ؟

عسى أن يفهم المنخدعون الحقيقة ، وعسى أن يثوبوا إلى هدي الإسلام . .

وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة : ١٠٥) . .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين